

2022

The Image of Nature and Human in Elia Abu Madi Poetry: The Woman and Homeland as a Model

Mokhled Al-Aied
MokhledAl-Aied@yahoo.com

Abdelhaleem Al-Hrout
adhroot@yahoo.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Social and Behavioral Sciences Commons](#)

Recommended Citation

Al-Aied, Mokhled and Al-Hrout, Abdelhaleem (2022) "The Image of Nature and Human in Elia Abu Madi Poetry: The Woman and Homeland as a Model," *Jerash for Research and Studies Journal* مجلة جرش للبحوث والدراسات: Vol. 23: Iss. 2, Article 76.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/76>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aar.edu.jo, marah@aar.edu.jo, u.murad@aar.edu.jo.

صورة الطبيعة والإنسان في شعر إيليا أبو ماضي: المرأة والوطن نموذجًا

مخلد محمد علي العايد* ومحمد علي الشوابكة**

ملخص

تتناول الدراسة صورة الطبيعة وعلاقة الإنسان بها في ضوء معرفة العلاقة بالمرأة والوطن. وتسعى الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الطبيعة والإنسان، التي جلت فيها رؤية الشاعر. وقد أبرزت الدراسة عبر مباحثها المتعلقة بالمرأة والوطن عمق الصلة بين الشاعر والطبيعة. وتؤكد الدراسة أهمية الطبيعة في شعر أبو ماضي كفكرة تعبر عن الأبعاد الفكرية والنفسية التي امتزجت بها أشعاره. وعبرت عنها. وتبين الدراسة الحالية صورة الطبيعة وارتباطها مع الإنسان في تصورات وأفكاره.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة، المرأة، الوطن، المهجر، أبو ماضي.

The Image of Nature and Human in Elia Abu Madi Poetry: The Woman and Homeland as a Model

Mokhled M. Al-Aied and Mohammad A. Shawabkeh, University of Islamic Sciences, Department of Arabic Language and Literature: Literature and Criticism.

Abstract

The study deals with the image of nature and the human relationship with it in light of the knowledge of the relationship with women and the homeland. The study seeks to analyze the relationship between nature and man, in which the poet's vision was manifested. The study highlighted, through its topics related to women and the homeland, the depth of the connection between the poet and nature. The study confirms the importance of nature in Abu Madi's poetry as an idea that expresses the intellectual and psychological dimensions with which his poems were mixed and expressed. The current study shows the image of nature and its connection with man in his perceptions and ideas.

Keywords: Nature, Woman, Homeland, Abu Madi.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة صورة الطبيعة في شعر إيليا أبو ماضي وعلاقتها بالمرأة والوطن في شعر إيليا أبو ماضي. فأبو ماضي شاعر مهجري رومانسي يرى الطبيعة عنصرًا تجريبيًا

© جميع الحقوق محفوظة جامعة جرش 2022.

* طالب دكتوراة/جامعة العلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية: أدب ونقد.

** أستاذ دكتور، جامعة العلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية وأدائها: أدب ونقد. Email: adhroot@yahoo.com

فكريًا وتصويريًا؛ لأنّه يحس بالطبيعة كنسق وجودي يبلا عن ذاته وأفكاره. ويلاحظ الدارس لشعره أنّ الطبيعة تمتاز بحضور واسع في مجمل قصائده. وأنها لا تلزم شكلاً واحداً يعبر عن الصورة الجمالية بل تدخل في تركيب الموضوعات والأفكار والقضايا التي يعبر عنها الشاعر.

ويرى الباحث أنّ صورة الطبيعة ذات صلة وثيقة بالإنسان. فيجد فيها نماذج حية تتفاعل في صورتها وتصويرها كالمراة والوطن. حيث إنّ صورة المراة أقرب إلى الطبيعة النموذج في كل أحوالها. وهي الجانب الإنساني المتجانس مع الطبيعة إما بصورتها المتمزجة بها أو صورة الطبيعة ذات البعد الإنساني عبر أنسنة الطبيعة.

ويبرز الوطن مع صورة الطبيعة للعلاقة الاعتبارية بين الإنسان والوطن أو الطبيعة. وقد اتصلت الطبيعة بالمكان/الوطن كمؤثر نفسي وفكري في وصف اهتمام الشاعر بالطبيعة مع علاقتها بالمراة والوطن. وفي ظل هذه العلاقات بين الطبيعة والإنسان فإنّ البحث يهدف إلى الكشف عن جلياتها في النص الشعري عند إيليا أبو ماضي. ولتحقيق هذا الهدف فإنّ البحث اتبع المنهج الوصفي التحليلي ووضع خطة تقوم على مبحثين اثنين درسا الطبيعة والمراة والطبيعة والوطن في شعر إيليا أبو ماضي.

وتنبع أهمية البحث من خلال اهتمامه بعنصر الطبيعة في شعر إيليا أبو ماضي. حيث إنّ الطبيعة -كما أشرنا سابقاً- ذات حضور كثيف في شعره. وفي تعبر أيضًا عن نظرة الشاعر إلى الحياة حيث إنّ فلسفة الحياة عنده تشير عبر تصوراتها المقتبسة من الطبيعة.

ويحاول البحث أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة. هي:

- ما العلاقة بين الطبيعة والمراة في شعر إيليا أبو ماضي؟
- ما العلاقة بين الطبيعة والوطن في شعر إيليا أبو ماضي؟

ويرى الباحث أن موضوع الطبيعة ذا صلة كثيفة الدلالة في شعر إيليا أبو ماضي يحتاج إلى عمق في البحث والكشف عن صورها وأجاءاتها في شعره.

تمهيد

تتنوع المؤثرات في نفوس الأدباء. فمنهم من يستلهم مادته من التاريخ. أو يتأثر إبداعه بالحياة الدينية. أو الحياة اليومية. وتعدّ الطبيعة أهم ما يستحضره الأديب في نصه؛ لأنّها قطعة شفافة في تعبيرها عن الذات. وتطلق يد الإبداع للخيال؛ لإقامة الروابط بين الطبيعة والأديب.

وبرزت الطبيعة كموضوع رئيسي في الشعر العربي. واهتم بها الشعراء فوصفوها وجسدوا ما يرونه بها. وشعر الطبيعة أقرب إلى المحاكاة والتنشبيه. حيث يرى سيد نوفل أنّ شعر الطبيعة لم يصدر في بداياته عن الملاحظة الذاتية والشعور. بل صدر عن تقليد وتخيل⁽¹⁾ ثم تطور شعر الطبيعة؛ ليكون مصدرًا من مصادر الشعر يعبر عن ذات المبدع ومشاعره الذاتية وأحواله النفسية والاجتماعية.

وتعدّ الطبيعة عند شعراء المهجر في العصر الحديث من أبرز ما يلهمهم ويمد أشعارهم بالصور الغنية بالخيال ولا تخفى قدرتهم على التصوير ونسج الخيال: لأنّ هذه الطائفة امتلأت شوقًا وحنينًا لمراتع الصبا قبل الهجرة في طبيعة ريفية أثرت في نفوسهم وفي أشعارهم.

ويرى عيسى الناعوري أنّ "أدباء المهجر جميعهم من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها؛ فهم عميقو الإحساس بها، عميقو الحب لها والاتصال بها. يرون في كل ما فيها أشياء حية، حُب وتكره، تسعد وتشقى، تفرح وتخزن، وترخو وتخيب، لذلك يناجونها، ويستلهمونها، ويتمثلون بها. ويبثونها آمال قلوبهم وآلامها، وأشواق نفوسهم وحيرتها وهي توحى إليهم بالحنين إذ تذكركم بما كانوا يجدونه من جمالها الفتان في ربوع بلادهم، وتوحى إليهم بالتأمل العميق في أسرارها، وما أبدع الله فيها من معجزات خار فيها العقول"⁽²⁾.

وإيليا أبو ماضي شاعر مهجري تأثر بالطبيعة حتى أنه يمكننا أن نصفه شاعر الطبيعة. إذ يكثر من استحضارها في أشعاره التي تمتاز بروحها الإنسانية وعواطفها الصادقة وحكمتها الدقيقة ولعل أبرز ما يحبب شعره إلى النفوس "ثلاث نواح: الأولى: ناحيته الإنسانية، والثانية: دعوته إلى محبة الحياة، والثالثة: استلهامه الطبيعة في شعره؛ مما يلون شعره بأجمل الألوان وأصفاها، ويرسم فيه أروع الصور وأنقائها"⁽³⁾.

ويجد القارئ في شعره الإنسانية والحكمة متمثلة في الطبيعة التي قوامها عناصرها الحية والجامدة تتسرب إلى صورته ومعانيه. وقد أبدع في تكوين شعر خاص بالطبيعة ينتمي إلى الذات والخيال وليس مجرد المحاكاة. ويرى القارئ لشعره، أن أفكاره وتعليقاته متأثرة بمفهومه الخاص للطبيعة.

ويدرس هذا البحث صورة الطبيعة والإنسان عند إيليا أبو ماضي التي تصور علاقات الإنسان ضمن محوري المرأة والوطن: لتقديم الدليل على انتماء الشاعر للطبيعة وإخلاصه في استحضارها، واستلهامه لعناصرها في تجربته الشعرية في مختلف أشكالها.

المبحث الأول: الطبيعة والمرأة في شعر إيليا أبو ماضي

اقترن الشعراء بالمرأة، وكتبوا أشعارهم فيها في موضوعات مختلفة. وقد شكلت المرأة جوهرًا أدبيًا، وقضية محورية في الشعر العربي. ووصف الشعراء جمال المرأة، وجعلوه رمزًا من رموزهم، وتطرقوا لمكانة المرأة وقيمتها في المجتمع؛ بوصفها المحور الثاني المكون للحياة. وإننا نرى أن الكم من الأشعار والدراسات حول الموضوع انطلاقًا من العصر الجاهلي إلى عصرنا الراهن⁽⁴⁾ يؤكد أهمية مكانة المرأة في الشعر العربي. وصورة المرأة ذات صلة وثيقة بالطبيعة: لأنّ العلاقة بين المرأة والطبيعة هي علاقة الخصب والجمال والعطاء؛ لذلك قصد الشعراء إلى وصف المرأة بأوصاف مستقاة من الطبيعة؛ فجعلوها آية لجمال الطبيعة، وصورة لنماذج الكائنات الحية الجميلة فيها.

وصور الشعراء المرأة بصور تتفاوت من زاوية النظر، والبعد النفسي، وطغت صورة المرأة الجميلة وأوصافها على الشعر العربي في القديم والحديث. وأصبح الغزل من أشهر الموضوعات في الشعر العربي. وشكلت المرأة أهم مقومات موضوع الغزل⁽⁵⁾ عند الشعراء العرب، واتسم الشعر المهجري بربط المرأة بالطبيعة كنموذج للجمال والعطاء والحياة. فالخصب عند المرأة جزء من خصب الطبيعة، وجمالها، ودلالاتها على استمرارية الحياة، وتبدو النزعة الرومانسية في الشعر العربي المعاصر من أكثر ما أعطى الطبيعة مكانة في الحضور الشعري؛ لهروب الرومانسيين نحو الطبيعة؛ ولذلك نرى ربطًا قويًا بين صورة الطبيعة والمرأة في أشعارهم كما يمثلها شعراء المهجر وإيليا أبو ماضي من أبرز أولئك الشعراء الذين استلهموا صورة الطبيعة في المرأة وصفًا وتعبيرًا.

وفي الحقيقة نرى أن موقف الشعراء من المرأة لم يكن موقفاً واحداً محدداً يوصف جمالها أو التغزل بها. فهناك من الشعراء من وصف المرأة كرمز للجمال الحسي أو المعنوي. وهناك من يتخذها رمزاً للتعبير عن قضايا عامة فتصويرهم لها يقع حسب الخلفية النفسية والاجتماعية والفكرية للشاعر. فالمرأة قد تكون غانية مبتذلة أو رمزاً للطهر والعفاف. أو عدواً غادراً. وهذه التصورات نتيجة للعلاقة التي تجمع الرجل والمرأة وتصورات الرجل عن المرأة التي تتكون مع مراحل تطور شخصيته.

وخاصة صورة المرأة الطبيعية في تمثلها عند إيليا أبو ماضي. فهي ليست حالة منفرد وإنما يتنوع جمالها بجمال الطبيعة بصورة متبادلة بين المرأة كالنموذج للجمال والخصب والطبيعة كنموذج للجمال والعتاء. وقد برزت صورة المرأة المستمدة من الطبيعة عند الشعراء ومثل ذلك أبو ماضي في جليات صورتها المستمدة من الطبيعة من جانب والتي تعدها محاكاة لها من جانب آخر فالمرأة والطبيعة عنوان للجمال.

"والمرأة في المجتمع تشكل حجر الزاوية فيه، ومسؤوليتها في بناء المجتمع وتغييره والارتقاء به وتأثيرها في سلوكه وتوجهاته مسؤولة جسيمة. منذ أن يتخلق وليدها في رحمها إلى أن تضعه، فتسكب في سمعه هدهدات التربية وأبجديات المعرفة. حتى إذا شبَّ عن الطوق وصار طفلاً شكَّلته بتوجيهاتها وممارساتها السلوكية وقيمها المبدئية"⁽⁶⁾. فهي كالطبيعة التي تحتضن الإنسان وتشكل هويته. وتكون صورته. فالمرأة تشترك مع الطبيعة في صقل ذوق الإنسان ونظرته إلى الجمال.

والمرأة عند إيليا أبو ماضي من المواضيع الكبيرة في شعره. فالجانب الإنساني في شعره على صلة وثيقة بما يتكون منه المجتمع الإنساني. وهذا يعني أن المرأة في قصائده ذات حضور واقعي رمزي يختلط بالطبيعة التي امتدت في شعره. وتناغمت معها قضايا الإنسان في مختلف أوجهها صعوداً وهبوطاً.

ويتغزل إيليا أبو ماضي بمقلتي امرأة وكأنهما جزء من الطبيعة التي يراها. فالعينان يتدفق منهما سحر الهوى كندفق النور من نجمتين. وهذا النور لا يمكن أن يدفعه. فقوته أضعف من قوة النور الساطع بين العينين. ويوظف الطبيعة؛ لتدل على جمال المرأة فيستحضر نور النجوم اللامعة يوازي به نور العينين في شدة سطوعها. وجمال النجمتين في سحرهما وحسنهما وإذا ما يرى الشاعر أن النجمتين مصدران للنور فإنه يرى في عينها مصدرًا للهوى⁽⁷⁾:

رَأَيْتُ فِي عَيْنَيْكَ سِحْرَ الْهَوَى	مُنْدَفِقًا كَالنُّورِ مِنْ جَمَّتَيْنِ
فَبَيْتٌ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِهِ	مَنْ رَدَّ عَنْهُ عَارِضًا بِالْيَدَيْنِ
يَا جَنَّةَ الْحُبِّ وَدُنْيَا الْمُنَى	مَا خِلْتَنِي أَلْقَاكَ فِي مُقْلَتَيْنِ

وتبدو المرأة كقوة خارقة من الطبيعة. ويصف تلك القوة بالسحر والسطوع أي أنها تذهب باللب والبصر. وتأسر العقل كما تأسر النظر. فالنور يتسلل كنور نجمتين متدفقا من عيني المرأة الساحرة ويستغرب الشاعر من أن يجد بعد هذا النور المتدفق مقلتين يمكنه أن ينظر إليهما. فتطغى بذلك صورة المرأة على صورة الطبيعة. فيعطي من شأن المرأة ويسمو بها كأنها جوهر الوجود.

والتفت صورة الطبيعة بالمرأة ليعبر اللقاء عن كثافة الصورة الطبيعية في شعر إيليا أبو ماضي. فالجمال في المرأة قسم من أقسام الجمال في الطبيعة التي يصور سحرها وانعكاسها في

المرأة وفي عينيها الساطعتين كنور متدفق من جُمَتين. "كانت المرأة وما زالت مثلاً لذلك الجمال المادي والروحي استهوى الشعراء، فهي النصف الجمالي الذي يحمل في قلبه رحيق الحياة وسلسبيل المحبة"⁽⁸⁾.

ويستمد أبو ماضي صورة أخرى من الطبيعة يوضح فيها قوة حضور المرأة. وجمالها الذي لا يقاومه المرء. ويترك القارئ أمام صورة حركية تعبر عن ضعف القوة البدنية للإنسان أمام قوى أخرى من الطبيعة. فاليدان البشريتان بالرغم من قوتها لا يمكنهما مواجهة عارض السماء والمطر باليدين. وهنا إشارة بديعة من الشاعر استخدام فيها الإقناع العقلي التمثيلي للموقف والتأثير النفسي الذي يكشف عن ضعف الإنسان أمام قوى الطبيعة. وبالتالي فإن الشاعر يريد أن يعبر عن قوة المرأة بقوة الطبيعة التي لا تسعفه قوته في مواجهتها. فقوة الطبيعة تكثيف يدل على قوة المرأة. وتخفي الطبيعة قوتها وتبدو آثارها في المكان والإنسان. والمرأة مثلها قد يرى فيها الإنسان الضعف إلا أنها قادرة على تدميره فأثارها تظهر في ضعفه في مقاومتها.

ويتصور الشاعر لقاء المرأة وفراقها باقتباسات من صور الطبيعة. فالوصل الجميل يكون بعد فراق وابتعاد كجمال طلوع الشمس بعد الظلام. وحب النساء مرض لا شفاء منه إلا بلقائهن. والريح لولا الغرام لما سكنت ولا خفيت. وهذه الصورة المتعددة تكشف عن تعلق الشاعر بالطبيعة. وتفكيره العميق بها فالشاعر عاشق للطبيعة كعشقته للمرأة التي يتغنى بهواها. ويعلل حبه للوصل وصبه على البعد بالاشتياق الذي تعلمه من حياته في الطبيعة⁽⁹⁾:

صَبْرًا عَلَى هَجْرهَا إِنْ كَانَ يُرْضِيهَا	غَيْرَ الْمَلِيحَةِ تَمْلُولُ جَنِّيَهَا
فَالْوَصْلُ أَجْمَلُهُ مَا كَانَ بَعْدَ نَوَى	وَالشَّمْسُ بَعْدَ الدُّجَى أَشْهَى
	لِرَائِيهَا
فَاحْذَرِ مِنَ الحُبِّ إِنَّ الرِّيحَ مَا حَفِيَتْ	لَوْلا غَرَامٌ عَظِيمٌ مُخْتَفٍ فِيهَا
بِمَضِي الصَّفَاءِ وَيَبْقَى بَعْدَهُ أَثَرٌ	فِي النَّفْسِ يُؤَلِّمُهَا طَوْرًا وَيُسْجِبُهَا
مَرَّتْ لِيَالٍ بِنَا مَا كَانَ أَجْمَلُهَا	تَمَّتْ فَمَا شَانَهَا إِلَّا تَلَاشِيهَا
تِلْكَ اللَّيَالِي لَا أَرْجُو تَذَكُّرُهَا	خَوْفَ العَنَاءِ وَلَا أَخْشَى تَنَاسِيهَا

وينظر الشاعر إلى العلاقة بالمرأة كجزء من العلاقة بالطبيعة. فيصبر نفسه على جني المرأة الجميلة عليه. ويصبر على بعدها وهجرها له. ويشفع لذاك التجني وهذا الهجر بما في الطبيعة من هجر ووصل. فالشمس تغيب وتشرق ولولا هذه الدورة بين الخفاء والتجلي لما بدت الشمس أجمل لمن يشاهدها ويراها. إننا نرى المحاكاة الدقيقة لتصوير المرأة في صدها وهجرانها بعناصر مخصوصة من الطبيعة. وتشكل العلاقة مع المرأة صورة لعلاقة الإنسان بالطبيعة. حيث إن الإطار العام بين المرأة والطبيعة يتحد في نظرة الإنسان إليهما. فيجد أنّ التكامل بينهما سببه العنصر الجمالي الذي يراه الشاعر متمثلاً في المرأة ومتجسداً في الطبيعة كرمز للجمال ونموذج للحياة الذي تنشره المرأة في الطبيعة.

كما يشير أيضاً إلى طبيعة الأشياء التي لا تدوم كالعلاقة الزمنية في الطبيعة التي لا تدوم على حال من الأحوال الثابتة. فالصفاء يمضي كما تمضي أيام الربيع والصيف. وتمر الليالي الجميلة ويتلاشى وتبقى آثارها في الذاكرة تثير الذكرى. وتهيج العواطف. ولا يخفى ما للطبيعة من أثر في تكوين الرؤية الفنية لإيليا أبو ماضي. وتتجلى العلاقة بين الطبيعة والزمن حيث يكون الزمن شاهداً على التغيرات التي تحدث في الطبيعة بمرور الليالي التي تتعاقب على الأحداث:

مَرَّتْ لَيَالٍ بِنَا مَا كَانَ أَجْمَلُهَا
تَمَّتْ فَمَا شَانَهَا إِلَّا تَلَاشِيهَا
نَلَّكَ اللَّيَالِي لَا أَرْجُو تَذَكُّرَهَا
حَوَفَ الْعَنَاءَ وَلَا أَخْشَى تَنَاسِيهَا

وتعد المرأة محوراً تدور حوله سعادة العاشقين أو شقاوتهم. ويشير أبو ماضي إلى أن السعادة غير دائمة. فالليالي الجميلة ترد فيها ليالي الهجر فتتغير المذات. وتعود الذاكرة إلى الأيام الجميلة بمرارة فتصبح الذكرى قطعة من عذاب العاشقين. فالمرأة كالتبيعة في تغير السرور في وصلها وهجرها. فكما أن الأيام لا يدوم صفاؤها في الطبيعة فإن المرأة كذلك لا يدوم الهناء معها. لأن الخوف من فقدان المرأة يسبب الأسى والحزن لجرد توقعه.

فالإحساس بالجمال نوع من أنواع العذاب الذي يتعذب به الحب بغمرة السعادة في عذابه أحياناً ويهوى النسيان أحياناً أخرى. ويستذكر الشاعر وقتاً محدداً في الطبيعة التي تبدو كمخلص للشاعر يهرب إليه متى ما أحس بالضيق والخوف. وتتسم الليالي بجمال السهر فيها عندما يكون الإنسان قريباً من يحب. ويصور أبو ماضي هنا شعور الإنسان بالأمان في اقترابه من يحب. كما أن الليالي تدل على فصلي الربيع والصيف حيث حب السهر والاستمتاع بالطبيعة الساحرة ليلاً فيهما. ومثل هذا البعد الزمني لليالي الشطر الأول من حياة العاشق الذي تدهشه الدنيا بصحبة من أحبهم. وتمر الليالي في الخريف والشتاء ببرد قارس يخلد فيه الناس إلى النوم والدفء إلا العاشق الذي يسهر في كل وقت وحين؛ لتمثل الطبيعة السرور والحزن للعاشق في بعدها الزمني من جمال الصيف والربيع إلى شدتها خريفاً وشتاءً.

ويصور إيليا أبو ماضي امرأة جميلة استحوذت على لبه بحسنها الفتان. وجمالها الساحر. ويستلهم ما في الطبيعة من علامات الجمال ويوظفها كاشفاً عن جمال المرأة الذي يشبه جمال الطبيعة الفاتنة التي يعشقها الشاعر بدلالة حضورها الكثيف في شعره صوراً وألفاظاً ودلالات. ويجري الشاعر حواراً دافئاً مع الطبيعة يؤنس الحوار لارتباط المرأة بالطبيعة ارتباطاً شفيفاً تمتزج فيه المرأة بصور الطبيعة. وللمرأة صورة غريبة تضع البصر الذي يرى فيه العاشق المرأة. فحضورها كجمال الطبيعة الخلاب يطفئ على كل شيء⁽¹⁰⁾:

وَنَاهِدُ حَجَبَتْ عَن كُلِّ ذِي بَصَرٍ
حَسَانَتِي خِدْرُهَا وَالْقَلْبُ نَادِيهَا
وَفِي الْكَوَاكِبِ جُزْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا
وَفِي الْجَاذِرِ⁽¹¹⁾ جُزْءٌ مِنْ مَعَانِيهَا
يَمَّمْتُهَا وَجُومُ الْأَفْقِ تَلْحَظُنِي
فِي السَّيْرِ سَدْرًا كَأَنِّي مِنْ أَعَادِيهَا
أَسْرِي إِلَيْهَا وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبٌ
كَأَنَّهُ مُشْفِقٌ أَنْ لَا الْأَقْيَاهَا
وَالشُّوقُ يَدْفَعُنِي وَالخَوْفُ يَدْفَعُنِي
هَذَا إِلَيْهَا وَهَذَا عَن مَعَانِيهَا
أَطْوَى الدِّيَاجِي وَتَطْوِينِي عَلَى جَزَعٍ
تَخْشَى إِفْتِضَاحِي وَأَخْشَى الصُّبْحِ
يَطْوِيهَا
قَامَتْ تُصَافِحُنِي وَالرِّدْفُ يَمْنَعُهَا
وَالْوَجْدُ يَدْفَعُهَا وَالْمَقْدُ يَنْنِيهَا
دُهَشْتُ حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَرَهَا
وَكِدْتُ وَاللَّهِ أَنْسَى أَنْ أَحْيِيهَا

وتدل صورة المرأة في الطبيعة على أن الشاعر يتعامل مع نموذج جمالي من نماذج الطبيعة. فهو يصرح بالغزل واصفاً حالة الطبيعة الممتزجة به امتزاجاً عضويًا لا ينفصل عن رؤيته للمرأة. والشاعر الرومانسي يدور في أجواء الطبيعة ولا يخرج عنها. فيدير حوارها معها دون أن تعلم أنه يحاورها فقد سرقت لبه كنور مشع يكاد يذهب ببصره. فمن شدة تعلقه بها وبالطبيعة رآها

وهي تقوم لمصافحته كشجرة وارفة الظلال تتحرك جذلانة تنهادى أعضائها وأوراقها بجسد امتزج بالطبيعة وأصبح جزءاً منه.

إنّ الطبيعة في لوحة المرأة ما يؤكد على الالتحام بينها وبين الطبيعة فهي على علاقة جزئية في تكوينها من خلال العلاقة التبادلية بالصورة المعاكسة المقلوبة التي خيل جمال الكواكب من جمال المرأة. فالمرأة والطبيعة شيء واحد لا ينفصل. فهي تجمع محاسن الأنوار الساطعة في الدجى. ولها جمال الطباء. التي تسابق الشعراء في تمثيل الجميلات بعيونهن وجمالهن وخفة حركتهن بصورة الطبيعة الجميلة. ويتحرك العاشق إلى محبوبته مندفعاً نحوها. وخائفاً مترقباً من الوشاة. ويرى أن كل شيء يتبعه ويراقبه حتى الطبيعة تراقبه بعين نجومها في ظلمة الليل. وقد امتزجت المرأة بالطبيعة وبالشاعر في لوحة يصعب الفصل بين مكوناتها. فالمرأة صورة للطبيعة والطبيعة انعكاس لما في المرأة من جمال والشاعر مفتون بهذه الصورة التي يمتزج فيها الحضور الحبيب للمرأة بجمال الطبيعة المعطاءة.

يَمَّتْهَا وَجُومُ الْأَفْقِ تَلْحَطْنِي	فِي السَّيْرِ سَدْرًا كَأَنِّي مِنْ أَعَادِيهَا
كَادَتْ تَسَاقِطُ غِيظًا عِنْدَمَا عَلِمَتْ	أَتَى أُمَّ الْأَتَى بِالتَّفْسِ أَفْدِيهَا
أَسْرَى إِلَيْهَا وَجَنَحَ اللَّيْلِ مُضْطَرِبٌ	كَأَنَّهُ مُشْفِقٌ أَنْ لَا الْأَقْيَاهَا
وَالسَّنُوقُ يَدْفَعُنِي وَالْخَوْفُ يَدْفَعُنِي	هَذَا إِلَيْهَا وَهَذَا عَنْ مَغَانِيهَا
أَطْوَى الدِّيَاجِي وَتَطْوِينِي عَلَى جَزَعٍ	تَخْشَى إِفْتِضَاحِي وَأَخْشَى الصُّبْحِ
	يَطْوِيهَا

وانقسمت إلى فريقين فريق يتابع سير العاشق إلى محبوبته كالوشاة إذ إن نجوم الليل تلحظه شزراً كأنه عدو لها. واشتد غيظها عندما علمت بسيره نحو محبوبته. وفريق آخر يتمثل في جنح الليل الذي يظلم ليتستر على سيره. ويضطرب خوفاً من عدم إتمام اللقاء بينهما. وإن اضطراب العاشق في سيره يراه في اضطراب الطبيعة من حوله. فقد استطاع أن ينقل خوفه وقلقه وترقبه إلى عناصر الطبيعة فقسّمها إلى فريقين فريق يتربح خطواته وآخر يتستر عليها. وهذا يدل على تأثره بالطبيعة التي تعكس مشاعره وأحاسيسه واضطرابه النفسي على عناصرها ومظاهرها. ويصف أبو ماضي لقاءه معها وصفاً حسياً فيرسمها كأنها لوحة أو تمثال نحتت الطبيعة. وتشمل اللوحة اللون والملمس والحركة. وكل ذلك يمتزج بالذات الشاعرة. فتصبح المفردات جزءاً منه. وتلبس بسلمات الإنسان بشكل يذكر بالأخاد بين الطبيعة والإنسان. أخاداً لا يمكن فصله: ما يدل على الأخاد في تصوير الشاعر بين الذات والطبيعة⁽¹²⁾:

هُنَاكَ أَلْقَيْتُ رَحْلِي وَأَنْتَحَيْتُ إِلَى	خَوْدِ ⁽¹³⁾ بَرَى الدَّمِيَّةِ الحَسَنَاءِ رَائِيهَا
بِيضٌ تَرَائِبُهَا ⁽¹⁴⁾ سَوْدٌ دَوَائِبُهَا	رُجٌّ ⁽¹⁵⁾ حَوَاجِبُهَا كَحُلِّ مَاقِيهَا
نُهُودُهَا مِنْ تَنَايَا النَّوْبِ بَارِزَةٌ	كَأَنَّهَا تَشْتَكِي بِمَا يُوَارِيهَا
وَالنَّوْبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَانِهَا قَتْبًا	عَنْهَا فَيَا لَيْتَنِي بَرْدٌ لِأَحْمِيهَا
وَحَتَّ ذَلِكَ حَصْرٌ يَسْتَقِلُّ بِهِ	دَعَصٌ ⁽¹⁶⁾ تُرْجِرُ حَتَّى كَادَ يَلْقِيهَا
قَامَتْ تُصَافِحُنِي وَالرِّدْفُ يَمْنَعُهَا	وَالْوَجْدُ يَدْفَعُهَا وَالْقَدُّ يَنْبِيهَا
دُهِشْتُ حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَرَهَا	وَكِدْتُ وَاللَّهِ أَنْسَى أَنْ أَحْيَاهَا

يقف القارئ أمام لوحة فنية لمرأة من ربّات الجمال في الطبيعة. فالوصف يفوق دلالة الكلمة على الجمال الحسي المفعم بالحياة: ليعبر عن حضور الطبيعة في نشوة الحياة تتداخل فيها ألوان

الطبيعة. وأشكالها الجميلة التي تغطي جسد الحسنة. ويبين هذا الوصف الحسي الدقيق للقارئ أنّ الشاعر قد استحوذ على تفكيره جمال فتان يسترخص في سبيله المخاطر التي قد يتعرض إليها. وأن الحذر في الوصول إليها ليس مبالغاً فيه. فجمالها يفوق كل جهد يبذله. وكل طريق خطر يسلك من أجل الوصول إلى محبوبته التي يذله جمالها. وكأنها منحوتة نحتتها الطبيعة الخلابة.

إنّ المرأة تمنح عناصر الطبيعة شكلاً إنسانياً من خلال أنسنة أفعال الطبيعة بالمرأة التي تعد مكوناً من مكوناتها. فالعلاقة التبادلية بين المرأة والطبيعة. وهذه العلاقة مصدر أنس للشاعر. وتدفعه لاستحضار الروح الإنسانية والخصب والجمال من اقتران المرأة بالطبيعة. واستمد الشاعر من عناصر الطبيعة التعبير عن نظرتين الأولى نظرة الوشاة من خلال النجوم التي تضيء طريقه متناقضة مع ظلمة الليل التي تسعى إلى إخفاء سيره إلى محبوبته: ليكثف وجود الطبيعة في الشكل والمضمون. فالحياة بذاتها ووجودها بتوافقها وتضادها تشبه الطبيعة عند إيليا أبو ماضي. وتوفر طريقته في الانسجام مع الطبيعة تصوراً فكرياً. وشعوراً إنسانياً مكثفاً في استحضاره للنجوم والدجى ما يحدث للعاشق من مراقبة ينقسم فيها المراقبون إلى فريقين فريق يتستر على العاشق مثل الدجى وفريق كالنجوم يفضح سيرهم ويراقب خطواتهم. فطبائع البشر تماثل أنواع الطبيعة التي يعرفها أبو ماضي. ويصورها في شعره.

ويرجع إيليا أبو ماضي إلى الطبيعة في تصوير محبوبته التي تعلق بها. ويوظف عناصر الجمال في الطبيعة ليوجد أوجه التشابه بين المحبوبة والطبيعة. فالمرأة الجميلة هي طبيعة متحركة في تقدير الشاعر الذي يفكر في الطبيعة كما يفكر في المرأة ذاتها. إنّه يرى في المرأة صورة للهِلال في حاجبيها وجبينها في وصف راقٍ لمشهد من مشاهد الطبيعة الجميلة. وبعد أن يبدأ بالطبيعة يغامر بالوصف ويبعد في الغزل. والمرأة هنا محفوفة بالمخاطر. فهو كمن يسير أمام عرين الأسد ليحظى بمقابلتها ولقائها. وبالتالي فإنه يتمثل حوض سبيل الموت للقاء تلك الجميلة التي يحبها. فكأنه يريد أن يكتشف أرضاً جديدة محفوفة بالمخاطر. فيسير بكل ما أوتي من قوة للوصول إلى مبتغاه. ويستلهم الشاعر صعوبة وصل محبوبته من الطبيعة الخطرة التي تحيط بالأرض الجديدة. حيث عليه أن يتجاوز لقاء أسد في عرينه. فالخطورة تعني حجم المغامرة الكبيرة التي يقحم نفسه فيها من أجل تلك الحسنة التي تشبه الطبيعة الجميلة⁽¹⁷⁾:

كَلَفَتْ بِهَا نَفْسِي وَدَوْنَ وَصُولِهَا
وَصَلَّ الْمَتُونِ وَتَمَّ لَيْتُ عَرِينِ
حَسَنَاءُ أَضْحَى كُلُّ حُسْنٍ دُونَهَا
وَلِذَاكَ عَشَّاقُ الْحَاسِنِ دُونِي

وتدفعه محاسنها إلى المخاطرة بنفسه من أجل وصالها. وقد يدفع حياته ثمناً لذلك. ويرى أن حسننها وجمالها يستحق تلك المغامرة. والعاشق يخشى على محبوبته وهي تخشى على نفسها من اللقاء. ويسيطر على المرأة الشعور بالخوف فهي كغزال يخشى أقل حركة. إذ تخاف من لباسها أن يبوح بسرّها. وتخشى من أنفاسها أو تنهيدة تخرج من صدرها. وخوف الحسنة المبالغ فيه يدل على المشقة التي يواجهها العاشق في كل لقاء. فهو بعد أن غامر بحياته. ونازل مخاطر الطبيعة فاللقاء بينهما لن يدوم طويلاً.

قَد رَوَّعَتْ حَتَّى لَتَخْشَى بُرْدَهَا
وَتُرْبُّهَا أَنْفَاسُهَا وَيُخِيفُهَا
مِنْ أَنْ يَبُوحَ بِسِرِّهَا الْمَكْنُونِ
عِنْدَ الْإِلْقَاءِ تَتَهُدُّ الْحَزُونِ

واللقاء الذي يكون على خوف ووجل لا يسعد به العاشق حيث يغلب عليه الفزع والترقب. ووجل هذه المحبوبة مدعاة إلى أن تحرم العاشق من لقائها. فهي بذلك تكون صورة خاكي الطبيعة

في صعوبة الوصول إليها فهي كمن يسكن في عرين الأسد تحتاج إلى مغامرة محفوفة بالموت. وهي أيضًا موصوفة بالجبن والفرع. أي أنها كظبية تخشى أدنى حركة من حولها فتهرب وفي كلتا الحالتين فإن العاشق لا يستطيع أن يحظى بما يريده من وصل ولقاء.

هَجَرَتْ فَكَلَّ دَقِيقَةً مِنْ هَجَرِهَا
يَا هَذِهِ لَا جَحْدِي حَقَّ فَقَدْ
عِنْدِي تُعَدُّ بِأَشْهُرٍ وَبِسِنِينَ
أَصَلَيْتَ قَلْبِي بِالنَّوَى فَصَلِينِي
أَطَلَقْتَ دَمْعًا كَانَ قَبْلَ مُقَيَّدًا
وَسَجَنْتَ قَلْبًا كَانَ غَيْرَ سَجِينِ
أَشْبَهْتَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ
حَبَرَ الَّذِي قَدْ صَارَ كَالْمَجْنُونِ
فَاكْتُمِي

إنها امرأة تخشى ثوبها وأنفاسها. وهذه صفات محببة للشاعر. فقد وجد أن النوى والهجر ليس لكرهها له دائمًا خوفًا على نفسها فازداد تعلقًا بها. ويخبرها بما يقع فيه من أشواق وأحزان ليعبدها عنه. ويذكرها بدموعه الحزينة. وقلبه السجين المرتهن لها. وأصبح مجنونًا متيمًا بها كمجنون ليلى العامرية الذي اشتهر بين الناس بحب ليلى يحاول أن يخفي جنون العشق عن الناس ويكشفه لمحبوته.

ولم تغب الطبيعة عن صورة المرأة في شعر إيليا أبو ماضي فالشاعر متيم بالطبيعة كما هو عاشق للمرأة الجميلة الحسنة⁽¹⁸⁾:

سَقَرَتْ فَقُلْتُ لَهَا أَهَذَا كَوَكَبٌ
وَتَبَسَّسَتْ فَرَأَيْتُ رَيْمًا⁽¹⁹⁾ ضَاكِمًا
قَالَتْ أَجَلٌ وَأَيَّ مَنِّي الْكَوَكَبُ
عَنْ لَوْلُو لَكِنَّهُ لَا يُوَهَّبُ
وَتَمَائِلَتْ فَالْسَمِيرِيُّ⁽²⁰⁾ مُصَمَّمٌ
وَمَا رَأَيْتُ لِحَاطَهَا بِي تَنْشُبُ
أَنْشَبْتُ الْحَاطِي بِوَرْدِ حُدُودِهَا
قَدْ كَلَّمْتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرْفُقْ بِهِ
بِضَاءٍ نَاصِعَةً كَأَنَّ جَبِيَّتَهَا
مِنْهَا وَكَيْسَبُ غَيْرَهَا مَا يَكْسَبُ
يَا طَالَمَا اِكْتَسَبَ الْحَرِيرُ مَلَاحَةً

فالمرأة التي أبدت أمامه حسنها أذهلته فلم يستطع أن يحدثها بشيء بسبب جمالها الأخاذ. ورأى أنها تشبه الجمال الموجود في الطبيعة. وهي مكون من مكونات الطبيعة. فتصبح مرادفة للإنسان؛ وهذه تقنية طريفة في الأئسننة. ولما رأى وجهها سألها (أهذا كوكب). ولما تبسمت رأى فيها صورة غزال ضاحك في غابة مخضرة ورأى لؤلؤًا نفيسًا لا تصل إليه يد الغواص. ولما تمايلت رآها ريمًا وضحكتها سهام تصوب إلى القلب وخدودها كالورد واللحظ كمخلب.

ثم يصورها بجمال الصبح وحلاوة الليل ورقة الحرير. و"تغنى الشعراء بالمرأة فهي اللحن الجميل الذي تستهل به القصائد وهي الكلمة السحرية التي تفتح لها كنوز الشعراء"⁽²¹⁾. فالأوصاف من الطبيعة التي يأتي بها الشاعر فيعكسها على تصوراتها ونظراتها تشكل صورة المرأة الجميلة التي يريد. وما لا شك فيه أن المرأة عند إيليا أبو ماضي شكل من أشكال الطبيعة التي يتغنى بها وبجمالها. والمرأة عنده نعمة في هذا الوجود وجمال كجمال الطبيعة "فهي للرجل أسمى المواطن من نفسه ورأيه ومشورته. وحرّي بالقلم أن يقف دون وصفها خاشعاً متواضعاً"⁽²²⁾ يصفها بأجمل الأوصاف وأبدعها. والطبيعة عند إيليا أبو ماضي هي أسمى منازع الجمال.

وتتميز المرأة عند إيليا أبو ماضي بموضوعها الواقعي في بعض الأحيان. حيث تنبثق فكرته من تصوراته لما يحدث في واقع الحياة. ويذم بعض التصرفات التي تدل على التكبر والغرور بالجمال والحسن ما تنخدع به كثير من النساء، حيث يرى أن الجمال والحسن زهرة سوف تذبل. وهذه الصورة المستمدة من الطبيعة تعبر عن حكمة الشاعر. ونظرتة الواقعية لما يدور حوله.

ويصور الشاعر حال المرأة الحسنة المغرورة التي تريد أن تنفرد بالحسن وحدها، وأن تفوز بالجزل والمديح دون غيرها. فتهرع إلى المرأة دائماً كلما سمعت عن حسن غيرها تحمل في قلبها الغيرة والحقد⁽²³⁾:

أَقَامَتْ لَدَى مَرَاتِهَا تَتَأَمَّلُ عَلَى غَفَلَةٍ مِّنْ يَلُومُ وَيَعْذِلُ
وَبَيْنَ يَدَيْهَا كُلَّمَا يَنْبَغِي لِنَ يُصَوِّرُ أَشْبَاحَ الْوَرَى وَيُمَثِّلُ
مِنَ الْغَيْدِ تَقْلِي كُلَّ ذَاتٍ مَّلَاحَةٍ كَمَا بَاتَ يَقْلِي صَاحِبَ الْمَنَالِ مُرْمِلُ

إنّ دلالة الفعل الماضي (أقامت) تدل على طول المدة التي تقف فيها المرأة عند المرأة. والعنوان الذي سبق القصيدة (المرأة والمرأة) توافق صوتي ومحاسنة بين اللفظتين. ما يدل على التوافق بين المرأة والمرأة، والمرأة والاقتراب الدائم بينهما، ويصف الشاعر وقوف المرأة عند المرأة بأنه لا يكون أمام الناس في العلن. بل تتخذه مسلكاً تختفي فيه عن اللائمين والعدّال. وتنشأ الغيرة بين النساء على الحسن والجمال وأياً كان مقدار جمال المرأة فإنها تريد لنفسها أن تكون أجمل من غيرها. فتغار من كل ذات ملاحه. وحققت على كل من يمدح جمال غيرها⁽²⁴⁾:

تَغَارُ إِذَا مَا قَبِلَ تِلْكَ مَلِيحَةً يَطِيبُ بِهَا لِلْعَاشِقِينَ التَّعَزُّلُ
فَتَحَمَّرُ غِيظًا ثُمَّ حَمَرٌ غَيْرَةٌ كَأَنَّ بِهَا حُمَى جِيءُ وَتُقْفَلُ
وَتَضْمُرُ حَقْدًا لِلْمُحَدِّثِ لَوْ دَرَى بِهِ ذَلِكَ الْمَسْكِينِ مَا كَادَ يَهْزُلُ
أَثَارَ عَلَيْهِ حَقْدَهَا غَيْرَ عَامِدٍ وَحَقْدُ الْعَوَانِي صَارِمٌ لَا يَفْلُلُ
فَلَوْ وَجَدَتْ يَوْمًا عَلَى الدَّهْرِ غَادَةً لِأَوْسَكَ مِنْ غَلَوَانِهِ يَتَحَوَّلُ

وتمثل الغيرة استجابة طبيعية لما يهدد بفقدان المحبة سواء كان هذا حقيقياً أو متوهماً. وتؤدي إلى شعور بالنفور والكراهية نحو الأشخاص. ويمتزج الغضب بالخوف في النمط الانفعالي المعروف بالغيرة. فالمرأة تخشى أن تفقد قيمتها التي تراها في حسنها وجمالها. ولكن هذه الصورة يستحيل أن تبقى مستمرة فكل شيء في الطبيعة والبيئة التي تحيط بالإنسان يدل على التبدل والتغير.

وتقارن المرأة جمالها بجمال غيرها؛ لذلك فإن كل حديث عن الجمال يثير المرأة. ما يشعورها بالغيرة تجاه كل امرأة توصف بالجمال. ويتعرض المادح إلى النفور والحقد من قبل المرأة. وتظهر صفات الغيظ على وجهها. فالحقد المضمّر في قلبها تعلق حمرته على الوجه.

ويحذر إيليا أبو ماضي من حقد الغواني الصارم كالحديد القوي. ويشبه قوة الحقد بالطبيعة المصنوعة التي يعرف أثرها في الحديد. كما يصور عجب المرأة بنفسها بالطاؤوس المعروف بتكبره وخيلائه المشهور في الطبيعة. فالطبيعة تمتزج بلوحة تشترك فيها المرأة بقوتها التي تقتبسها من الطبيعة. فهي في قوتها كالطبيعة المادية المصنوعة من الحديد. في تكبرها كغرور الطاؤوس. فالطبيعة متمزجة في التعبير عن المرأة عند إيليا أبو ماضي⁽²⁵⁾:

أَثَارَ عَلَيْهِ حَقْدَهَا غَيْرَ عَامِدٍ وَحَقْدُ الْعَوَانِي صَارِمٌ لَا يَفْلُلُ

فَلَوْ وَجَدْتَ يَوْمًا عَلَى الدَّهْرِ غَادَةً
فَتَاءٌ هِيَ الطَّائِفُ عَجَبًا وَدَيْلُهَا
سَعَتِ لِاحْتِكَارِ الحُسْنِ الحُسْنِ فِيهَا بِأَسْرِهِ
وَجَهْلُ أَنَّ الحُسْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
لَأَوْسَكَ مِنْ غُلُوَانِهِ يَتَحَوَّلُ
وَلَمْ يَكْ ذَيْلًا تَسْعُرُهَا المَتَّهَدُّ
وَكَمْ حَاوَلْتَ حَسَنَاءَ مَا لَا يُؤَمَّلُ
وَإِنْ هُوَ إِلَّا زَهْرَةٌ سَوْفَ تَذْبُلُ

وتظهر الطبيعة في حكمة الشاعر حيث يشير إلى أن الغرور بالجمال غير دائم؛ لأنه سرعان ما يذبل كما هو الزهر في الطبيعة يصل إلى أعلى درجات الجمال ثم ما يلبث أن يمر الوقت ويذبل. فالمرأة التي تسعى إلى احتكار الحسن والحفاظ على جمالها تسعى إلى سراب لا يؤمل أن تحفظ جمالها دون أن يتعرض إلى التحول والتبدل.

فالحكمة تقتضي أن يبصر الإنسان ما يحدث أمامه. وأن يأخذ العبرة من التغييرات التي تصيب ما حوله فالتبيعة انعكاس لما يحدث مع الإنسان. فالإنسان يغيره المنظر الجميل. ويبحث عن جمال الأشكال والجسوم. ويحذر الشاعر من أن كل تلك الجماليات سوف يسير عليها الزمن بأحواله وتغييراته. فالفتى الذي يغتر بالجمال سيفقده مع مرور الوقت. وأما الجمال الذي يدعي أسمى الفضائل فإنه جمال النفس والروح الذي يبقى ويدوم وينمو مع مرور الزمن. ونلاحظ هنا وجود نظرة مثالية متمزجة بتجربة واقعية. أي ذات ملامح رومانسية مشغولة بالطبيعة. تهرب إليها في صورتها وأسلوبها في التعبير. وشعراء المهجر عمومًا وإيليا أبو ماضي خصوصًا امتازوا بنظرتهم الرومانسية التي تمتزج بالطبيعة.

ولكن بعض النساء يفرهن الجمال العارض الذي يسعى إليه من أجل الحصول على المديح والإطراء. ويشير الشاعر إلى أن أكثر ما يحدث من اهتمام للغواني بجمالهن سببه الغيرة فأسماء تغار من الغيد الجميلات ولولا أن الغيرة من النساء والسعي إلى مديح العاشقين لترجلت بعض النساء ولما كان بينهن وبين الرجال من فرق.

ونفهم من وجهة نظر إيليا أبو ماضي أن الجمال مائل في الجوهر كجمال الطبيعة الذي يكون في ذاته؛ لأن الجمال والحسن في ظاهرها عرضة لتغيير والتبدل. فالورد بعد انقضاء الربيع ومرور الصيف يذبل. وحسن الأجسام بعد مرور الزمن يتغير. فما كان جوهره جميلًا لن يتغير جوهره بتغير الزمن. ويصف أيضًا الخداع الذي يتغطى بالجمال المنمق الزائف عند بعض النساء. فجمالهن مخادع بسبب الغيرة وحب المديح والثناء. ولولا ذلك لكانت شبيهة بالرجال. وأما المنخدعون بها فإنهم لا يرونها إلا وهي منمقة بعد أن وقفت أمام مرآتها ترشدها إلى تزيين نفسها. ولا يعرفون شيئًا من حياتها المحجوبة عنهم.

اتصلت المرأة في شعر إيليا أبو ماضي بالطبيعة. حيث وصف جمالها وحسنها بأوصاف الطبيعة الفاتنة. وصوّر لقاء العشاق بأجواء من الطبيعة حيث إن عناصرها يشاركهم اللقاء حسدًا وسرورًا. فالتبيعة تمثل مختلف الأصناف والأجناس. واستلهم الشاعر موضوع غرور الغواني بجمالهن من الطبيعة النباتية التي يذبل فيها الورد. ويتغير فيها الحسن بعد مرور الزمن. فأبو ماضي شاعر الطبيعة بكل ما في الكلمة من معنى في فنه ورؤيته.

المبحث الثاني: الطبيعة والوطن في شعر إيليا أبو ماضي

يحتضن الوطن الإنسان. ويعيش فيه واقعه ويتطلع إلى أحلامه. وقضية الوطن من القضايا البارزة في الشعر العربي تتميز بحنين الشاعر إلى المكان. والطبيعة في الوطن تثير الإنسان أكثر من غيرها في أمكنة أخرى. فالنفوس مجبولة على حب الأوطان والأمكنة التي ينتمي إليها

الإنسان. وقد عبّر العقاد عن قيمة الوطنية التي هي أكبر من كل مفقود ولا يساويها كل موجود⁽²⁶⁾.

وحب الوطن قيمة إنسانية عظيمة، تتجلى فيها عاطفة الإنسان الصادقة، كما أنّ الوطن صورة للطبيعة بكل ما فيه من عناصر مادية، ومظاهر إنسانية، ومكونات حية وجامدة. وقد ظهرت الطبيعة في شعر إيليا أبو ماضي بصورة تعبر عن جمال الطبيعة في لبنان من جهة، ومن جهة أخرى برز استغلال الطبيعة في تصوير الوطن من الناحية السياسية والاجتماعية وموقفه الإنساني من قضايا وطنه.

وقد مثلت الطبيعة دورًا في الكشف عن حنين الشاعر إلى المكان؛ فالطبيعة أداة واصفة للعاطفة الإنسانية المنتمية للمكان. وتنشط العواطف عند اجتماع حب المكان بعلاقة روحية. فأبو ماضي حينما يتحدث عن الشام فإنه يتصل بالمكان اتصالاً روحياً؛ لذلك ليس بمستغرب أن يتمثل علاقته بأجواء الطبيعة⁽²⁷⁾:

تَرَكْتَ النَجْمَ مِثْلَكَ	فَإِنْ تَسَهُ سَهَا أَوْ نَمَتْ نَامَا
مُسْتَهَامَا	
بِنَفْسِكَ لَوْعَةً لَوْ فِي الْعَوَادِي	لَصَارَتْ كُلُّ مَاطِرَةٍ جَهَامَا
وَفِيكَ صَبَابَةٌ لَوْ فِي جَمَادٍ	لَأَشْبَهَ دَمْعَكَ الْجَارِي إِنْ سَجَامَا
هَوَى بِكَ فِي الْعِذَامِ لَهُ دَبِيبٌ	أَشَابَكَ وَهَوَى لَمْ يَبْرَحْ غَلَامَا

وتدل هذه اللوحة الطبيعية المصورة للغرام والعشق الذي يرى نفس الشاعر على مكانة المحبوب، وقربه المادي والمعنوي من نفس الشاعر التي تعاني فيه من تباريح الغرام. وتبدو الطبيعة شاهدة على أحوال الشاعر وعشقه الذي يلقيه على الطبيعة كمكان بعناصره الحية والجامدة؛ ليشترك معه في سهره كالنجوم، وفي دموعه كالسحب والجمادات. فيظهر المكان الواسع المفتوح؛ ليصف أحوال العاشق، وليعرف سر أحاديثه، وتبرز هنا أنسنة الطبيعة مرة أخرى لدى الشاعر؛ فهو يناجها كأى إنسان ويشبه حبيبته بها. وهي تقنية لطيفة لدى شعراء المهجر في تصوير ارتباطهم بالطبيعة.

وبعد أن يقدم أبو ماضي المكان في الطبيعة كفضاء مفتوح يعود إلى المكان مرة أخرى ولكنه يحدده في أرض الشام التي يحبها ويعشقتها. فيصور أنّ عشقه وتباريح الهوى التي يعانها تتضاءل أمام حضور الشام فالعلاقة الروحية بينه وبين الشام تصور قمة التدفق الشعوري المحب بين الإنسان والمكان. فالشام وطن كبير، والوطن "هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان"⁽²⁸⁾. فيعلل بذلك سبب انفتاحه على الطبيعة حيث يبث إليها مشاعره نحو الشام⁽²⁹⁾:

إِذَا ذُكِرَ الشَّامُ بَكَيتَ وَجَدًا	وَمَا تَنَفَّكَ تَذَكَّرُ الشَّامَا
وَكُنْتَ سَلَوْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا	وَكُنْتَ هَجَرْتَهُ إِلَّا لَمَامَا
رُؤَيْدَكَ أَتَّهَى لِالْحَاحِي رُؤَيْدًا	لَكَ الْوَيْلَاتُ لَيْتَ سِوَاكَ لَامَا
أَرَّهْدُ وَالْحَطُوبُ تَطُوفُ حَوْلِي	وَأَقْعُدُ بَعْدَمَا التَّمْلَانِ قَامَا

يظهر الحوار في هذه الأبيات بين اللائم والشاعر، وإن كان الحديث يبدو حديث النفس للنفس التي تستذكر المكان بطبيعته وجماله. وترى أنّ نسيانه ضرب من الجنون، ونوع من المستحيل؛ لأنّ الشام كمكان حقيقي يسكن في نفس الشاعر، يتحدث عنها وعن هواها أكثر وجدًا وعاطفة من حديث الشعراء والعشاق عن محبوباتهم؛ لأنّ عاطفة الانتماء للمكان تمثل قيمة عظيمة لدى

الإنسان؛ فالمكان بالنسبة للشاعر المهجري جزء لا ينفصل عن الطبيعة التي يحبها ويعشقها. فالعلاقة الرومانسية القائمة بين الشاعر والمكان يتوجها حبه لطبيعة المكان بكل أنواعها.

وتنعكس الطبيعة بصفتها ومكوناتها على مفهوم الوطن. فالحرية الموجودة في تكوين الطبيعة وما فيها من جمال وحياء يختزنه الشاعر بذكره للشام التي تسكن الفؤاد. فالوطن هو البيئة الحاضنة للإنسان في وجوده على أرضه أو في خياله عند اغترابه عنه. ويدل النسيان المؤقت الذي يشير إليه الشاعر في الحوار (وكنت سلوته إلا قليلاً) على استحالة وقوع النسيان. فالذاكرة مشغولة بالوطن مما يعبر عن التحام الشاعر جسدياً وفكرياً بالوطن.

وتبدو الشام في هذه الأبيات في بُعد عاطفي إنساني. مزوج بالعلاقة السياسية التي تشعل عاطفة الحب. لتكون شعاعاً للدفاع عن أرضها ومواجهة الخطوب التي تستهدفها. فالعلاقة- عند إيليا أبو ماضي- ليست علاقة عشق مجردة تحب المكان وطبيعته؛ بل إنها علاقة انتماء وارتباط بالأرض ومفرداتها. فهو يسعد بسعادة وطنه ويشقى بشقائه. وهو كالطبيعة في حبه لوطنه؛ إن كان الوطن بخير كانت الطبيعة مشرقة وجميلة، وإن لم يكن كانت كئيبة وقائمة.

ويعبر أبو ماضي بصورة الطبيعة في حالتها المتجردة من الحياة وفي استعادته لذكرياتهما الماضية الجميلة في وصفه باكيًا على ما يحل بلبنان والشام من خراب في قصيدة يقيمها على سؤال تائر يستفسر عن المكان وأهله بعنوان (لن الديار؟)⁽³⁰⁾:

لِنِ الدِيَارِ تَنوُحٌ فِيهَا الشَّمَالُ	مَا مَاتَ أَهْلُوهَا وَلمَ يَتَرَجَّلُوا
مَاذَا عَرَاهَا مَا دَهَا سُكَّانَهَا	يَا آيَتِ شِعْرِي كَبَلُوا أَم قَتَّلُوا
مَثَلْتُهَا فَتَمَثَّلَتْ فِي خَاطِرِي	وَمَنَا لَغَيْرِ الفِكْرِ لَا تَتَمَثَّلُ

فكأنما الشاعر يقف أمام رسوم الجاهليين وأطلالهم. ولكنه يؤكد أن المكان ليس فارغًا من أهله الذين لم يرحلوا عنه. فالفراغ في المكان فراغ نفسي يصور حالة الاضطراب والفرقة بين الناس التي جعلت المكان كأنه أرض خاوية على عروشها. ويرى أبو ماضي أن صورة الأطلال لا يمكن أن يعرفها الإنسان المتأمل في المكان. بصورة مغايرة لما هو معلوم عن الطلول في الدواوين التي تكون شاهدة للعيان على خرابها. فالخراب في الأرض ليس خرابًا ماديًا سببه ارحال أهله عنه وإنما هو خراب في العلاقات بين أهل المكان جعلت الشاعر يصورها وبشبهها بالرسوم والأطلال التي خلت من أهلها.

ولقد مثلت صورة الأطلال الطبيعة المتجردة من الحياة. وإن استعادة ذاكرة الشعر القديم لها مدلولات عميقة في وصف طبيعة المكان المعاصر. حيث إنَّ الذاكرة القديمة لمفهوم الأطلال تدل على الخراب. وانتهاء مظاهر الحياة في البيئة المقفرة بعد ارحال أهلها عنها. وقد عبر أبو ماضي بذلك عن الطبيعة المقفرة. بمفارقة غريبة؛ لأن أهلها لم يرحلوا عنها. وهذا المعنى له دلالات نفسية تعبر عن التغيرات التي أصابت المكان فانعكست على رؤية الشاعر للطبيعة فجردها من مظاهر الحياة.

وتنفرد صورة الطبيعة بالوحشة والغربة في مكان كان تعج فيه الحياة بأهله. فالفراغ عندما يحل بالمكان المكتظ المزدهم يكون أفسى من الفراغ الذي تسببه عوامل الدهر كالموت والفناء. ويصف الشاعر نفسه عند زيارته للمكان فيخيب أمه في تحقيق السعادة في الطبيعة المظلمة أمامه⁽³¹⁾.

وَإِذَا تَأَمَّلَ زَائِرٌ أَنَارَهَا
أَصْبَحَتْ أُنْدُبٌ أَسَدَهَا وَظَبَائِهَا
شَخَصَتْ إِلَيْهِ كَأَنَّهَا تَتَأَمَّلُ
وَلَطَامًا أَبْصَرْتَنِي أَنْعَزَلُ
وَأَرَى الدِّيارَ كَأَنَّهَا تَتَهَلَّلُ
جَذَلانَ لا أَشْكو وَلا أَتَعَلَّلُ
وَأَرُوحُ فِي ظِلِّ السَّبابِ وَأَغْتَدِي

ويصور أبو ماضي المكان في زمنين الزمن الحاضر الذي أصبح فيه المكان كأطلال بائدة يبكي ماضيها. ويبكي عناصر الطبيعة فيها حيث يؤنس الأسد والظباء والرجال الأنداء الذين ازدهر المكان بهم. والنساء الجميلات رمز الجمال والحياة السعيدة. وبعد أن يبكي حاضره يستحضر الزمن الماضي الذي كانت فيه الطبيعة جميلة ضاحكة تعج بالحياة، وتسير بها روح الشباب التي لا تفكر في مسميات الأحداث. ولا تقلق لهموم الدهر.

ويضع الطبيعة الجميلة الخلابة عنواناً لذكريات الماضي التي كان فيها المكان مفتوحاً واسعاً من الناحية النفسية على عكس ما وجدناه في الزمن الحاضر الذي يضيق به المكان. وتنحسر فيه مظاهر الطبيعة وتغدو مجرد ذكرى تثير في النفس البكاء⁽³²⁾:

إِذْ كَلَّ طَيْرٌ صَادِحٌ مُتَرَمِّمٌ
وَالأَرْضُ كاسِيَةٌ رِداءٌ أَحْضَرًا
إِذْ كَلَّ عُصِيٌّ يانِعٌ مَتَهَدِّلُ
فَكَانَها دِيباجَةٌ أَوْ مَحْمَلُ

فالتبيعة التي يستضيء الإنسان خلال جمالها على صلة وثيقة بأحوال النفس. وما يحدث لها من أحداث وما يمر عليها من صراعات. فالجمال في المكان ينبع من حياة أهله فيه. ومن علاقتهم العضوية بالطبيعة. فالصورة بين الزمنين الماضي والحاضر سببها تغير أحوال الناس وليس تغير المكان في بيئته وطبيعته. ويؤكد الشاعر ذلك في حديثه عن استغرابه من حدوث التغير المفاجئ في المكان⁽³³⁾:

لِلَّهِ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ آيَاتُها
مَنْ كانَ يَحْسَبُ أَنَّها تَتَبَدَّلُ

لقد وصف الشاعر علاقته بالمكان من خلال استعادته لزمن الطبيعة الخلابة قبل أن يحلّ الخراب بالمكان فكان شعره صادق العاطفة في اتصاله بالمكان الذي يحبه. وكان يظن أنّ عوادي الدهر لا تأتي عليه إلا أنها سنة الحياة في التغيير والتبدل. وقد ظهرت الطبيعة حزينة وسعيدة بحسب مراد الشاعر في وصف المكان والتعبير عن أحواله.

ويصور الشاعر صورة الوطن المتجذرة في فؤاده كغرسة تنمو مع الأيام. لا تقف عنده وستستمر حتى بعد الموت؛ لأنّ الوطن عنده حياة الإنسان بما فيه من اتصال روحي مع ذاته. فالتبيعة بكل ما فيها، وعناصر الجمال بكل صورها ومعانيها لا تعادل حب الوطن في النفس⁽³⁴⁾:

لَسْتُ مُغَرِّبٌ بِشادِنٍ أَوْ شادِ
كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الكائِناتِ
أنا صَبٌّ مُتَيِّمٌ بِيلادي
مِنْ جَمادِ وَعالمِ وَنَباتِ
صائِرٌ لِلزَّوالِ أَوْ لِلَمَماتِ
أنتِ ما دُمْتَ فِي الحِياةِ حِياتي
غَيْرُ شُوقِي إِلَيْكَ يا سوريَّة

تبرز صورة الوطن في نظر الإنسان العاشق كحالة شعورية تمتزج بذاته. فالوطن والشاعر حالة من الانسجام لا تنفصل مهما تعرضت لمؤثرات الدهر أو عوامل الهدم؛ لأنّ الحب نفحة روحية أزلية بينهما كما يعبر عن ذلك. وحب الوطن لا يقارن بغيره من العواطف والمشاعر التي يكنها الإنسان لما حوله من الأشياء سواء من الطبيعة ذاتها أو غيرها؛ فالذات تلنقي بكل أشجانها

وعواطفها على حب الوطن. وقد وضح الشاعر أن الوطن كمكان أسمى من غيره فهو يفصل بين الوطن بمفهوم الانتماء والأمكنة الأخرى بجمالها وروعيتها فيتدفق حب الوطن مجارفًا كل العواطف التي تكنها الذات لغيره من الأشياء التي لا تعادل حبها له. فحتى الطبيعة بعناصرها الحية والجامدة هي دون الوطن كمكان يخصصه الشاعر بمفهوم الهوية والانتماء.

وتبرز الطبيعة بحضورها النفسي في تأملات الشاعر في وطنه؛ لأنه يعبر عن عاطفة صادقة تصور النفس في كل حالاتها فرحًا أو حزنًا. والطبيعة في شعر إيليا أبو ماضي مكوّن فني يبني عليه نماذج الشعيرية. ويحملها طاقة شعرية غنية بالمعنى والدلالة. فهي جميلة المظهر. تعيش فيها الكائنات حياة راقية. يؤنس مكوناتها. ويستشعر كل ما فيها من جمال عندما يرسم صورة الوطن الجميل. وتنعكس الصورة السلبية على الطبيعة عندما يكون الوطن في أزمة أو تكون نظرة الشاعر سوداوية. وتأتي الطبيعة بصورة مفارقة للجمال الذي تكون عليه عادة من الشاعر. وهذه السمة في شعر إيليا أبو ماضي سمة نابعة من اتجاه شعراء المهجر نحو الطبيعة التي تعكس الطبيعة النفسية بأحوالها وتقلباتها.

ويمتد حب الوطن عبر زمن الوجود من الحياة إلى الممات. ويستمر عبر حركة الزمن بين الماضي والحاضر والقادم؛ لأنه مكان الحياة بالقرب أو البعد. وقد أشار الشاعر إلى عمق العلاقة بأن أرجع حب الوطن لأزمان بعيدة. وهو بذلك يعمق صورة العشق بعد الممات بصورة مستمدة من الطبيعة. حيث يرى أن حبه عن دخل في باطن الأرض سيكون غرسًا تمتد جذوره في الأرض وتصعد أوراقه وارفة الظلال على الوطن⁽³⁵⁾:

فَإِذَا مَا رَجَعْتُ لِلظُّلُمَاتِ	وَاسْتَحَالَتْ جَوَارِحِي ذَرَاتِ
فَلْتَقُلْ كُلُّ دَرَّةٍ مِنْ رُقَاتِي	عَاشَ بُنْبَانٌ وَلْتَعِشْ سَوْرِيَّ
وَلْتَقُلْ كُلُّ نَفْحَةٍ مِنْ نَدِّ	وَلْتَقُلْ كُلُّ دَمْعَةٍ مِنْ حَدِّ
وَلْتَقُلْ كُلُّ غَرْسَةٍ قَوْقَ حُدِّي	وَلْتَقُلْ كُلُّ شَاعِرٍ مِنْ بَعْدِي

عَاشَ بُنْبَانٌ وَلْتَعِشْ سَوْرِيَّ

إننا أمام مشاعر جياشة يعبر بها الشاعر عن حبه المطلق الممتد في الزمان والمكان للوطن. فهو يصف وطنه الراسخة في جذور المكان. والوطنية تعني حب الوطن وهي عاطفة إنسانية تربط الفرد بالوطن⁽³⁶⁾. وارتباط الشاعر بالوطن عضوي جذوره راسخة في الأرض لا يوقف نموها ميلاد ولا موت فهي سابقة على كل شيء وباقية بعد الممات.

إنّ المكان بالنسبة للشاعر أبعد فضاء من صورة الأرض بطبيعتها ومكوناتها وأسلوب الحياة فيها. فالشاعر يعيش في غربة مستمرة عن وطنه ولكنه لا ينقطع عن التفكير فيه؛ لأنه يرى أنّ الوطن مكانه الذي تتجلى فيه العلاقة الحقيقية بين الإنسان والطبيعة. بصورة يلتحم فيها الجسد بالمكان التحامًا عضويًا تعبر عن العاطفة الصادقة التي حملها كلمات الشاعر وصوره.

وارتبطت الطبيعة بعلاقة متجذرة بالوطن. حيث إنّ وجود الإنسان على ظهر الأرض أو في باطنها يمثل حالة وجودية لا تعتمد على مبدأ الحياة والموت. وقد جلت هذه الفكرة بتعبير بديع عن مكانة الوطن بوساطة صورة تتمتع بطاقة شعرية تنفذ من اللغة بدلالاتها التركيبية إلى مستوى الصورة المفتوحة عبر الزمن الماضي والحاضر والمستقبل. بل وتعبر عما قبل الكينونة الإنسانية وبعدها. وهذه من أكثر الصور إثارة ورومانسية في شعر إيليا أبو ماضي حول الطبيعة والوطن.

ولم يكن أبو ماضي شاعراً متفجعاً وحسب على وطنه بل هناك أشعار يذكر فيها الطبيعة في لبنان. ويتغنى بها. ويصفها. ويبين في قصيدة يودع فيها صديقاً لبنانياً يعود إلى وطنه⁽³⁷⁾:

أثنان أعيا الدهر أن يبليهما	لبنانُ والأملُ الذي لدويهِ
نشأته والصيف فوق هضابه	ونجبه والتلج في وادِه
وإذا تمدُّ له ذكاءً حبالها	بقلائد العقيان تستغويه
وإذا تنقطه السماء عشيّة	بالأجيم الزهراء تسترضيه
وإذا الصبايا في الحقول كزهرها	يضحكن ضحكا لا تكلف فيه
هنّ اللوات قد خلفن لي الهوى	وسقيني السحر الذي أسقيه

وفي هذه الأبيات تبدو طبيعة لبنان الجذابة الأخاذة تنبع من عزيمة لبنان وتدل على قوته التي لا يأخذ الدهر منها ولا يؤثر فيها. ويغري أبو ماضي صديقه العائد إلى لبنان بطبيعة لبنان التي تجعل المكان جميلاً في صيفه وشتائه. وفي كل أحواله. وتبرز الطبيعة في لبنان بصورتها الجميلة التي تعبر عن حب المكان.

ويصور الشاعر الطبيعة بأجوائها الإنسانية التي تظهر فيها (الصبايا في الحقول) بمدلولاتها التي يعبر بها عن الحصب بعد أن نزل المطر وحلّ الشتاء جميلاً هادئاً على أرض لبنان وانتشرت السعادة والجمال في المكان. وتمثل صورة المرأة الجانب المشرق من الحياة التي يعبر فيه الشاعر عن إنسانية المكان الذي يبدو صادقاً في الجمال والرونق الطبيعي كضحكات الصبايا التي لا تكلف فيها. فالحب والهوى في لبنان صادق العاطفة بعيد عن التكلف.

لقد ظهر الوطن في هذه الأبيات مصدراً لعلاقة الإنسان به كطبيعة مكانية يعيش فيها الإنسان أو ينتمي إليها ويحبها ويعشقها بكل تفاصيلها الحية والجامدة. يتطلع إلى كل ما فيه من سعادة يحلم بها ويستاق إليها. ومن واقع يطمح إلى تغييره والوصول به إلى أعلى وأرقى المراتب. فالعلاقة بالوطن كمكان ليست علاقة عابرة بل هي علاقة عضوية لا تنفصل كعلاقة الأرض بالعشب والطير بالعش. وعلاقة السمك بالنهر: لأنها علاقة الإنسان بذاته ووجوده وكيونته التي يسعى إلى تحقيقها وقد عبر أبو ماضي عن تلك المعاني بلغة منتمة إلى المكان والطبيعة وبعاطفة صادقة في تصويرها لعلاقته بالمكان.

إنّ نزوع الشاعر الرومانسي إلى الطبيعة يُعدّ من شعرته ذات الإحساس العميق بالمكان. ولقد ظهر المكان بصور الطبيعة الحية. والأنسنة المتجسدة للكائنات والجمادات. وقد عبّرت الطبيعة عن المشاعر النفسية والقضايا المختلفة التي تهم الشاعر نحو المكان ووطنه فظهرت مواقفه السياسية والاجتماعية. ومشاعره النفسية في صور الطبيعة التي تدل على شدة الارتباط بين الإنسان والمكان من جهة وبين الإنسان والطبيعة كتصور لمفهوم العلاقة ذات الإسقاط النفسي والشعوري على القضايا التي تتعلق بالإنسان والمكان.

الخاتمة

- اتسم أبو ماضي بعلاقة متفردة مع الطبيعة التي عاش في ظلها وأحضانها. كما أنها استمرت فكرة ورؤية تضيف آثارها النفسية، وعبرت عنها أشعاره التي أظهرت امتزاجه بها فهي جزء من رؤيته الشعرية التي عبرت عن عناصر حيّة كالمرأة والوطن بحيث عبرت عن تجليات العلاقة بين الإنسان والمكان في ضوء الطبيعة. ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:
- هناك علاقة وثيقة بين الطبيعة وتصورات أبو ماضي الإنسانية في علاقته بها التي تصور الإنسان في نماذجه كالمرأة والعلاقة بالوطن.
 - برزت المرأة بعلاقة متزجة بالطبيعة بعلاقة تشاركية حيث إنّ المرأة رمز للخصب والنماء الذي يراه الشاعر متمثلاً في الطبيعة.
 - لا ينفصل الوطن عن الطبيعة وتزداد صورته قريباً كلما زاد الشاعر اغترابه. إضافة إلى أن رؤية الشاعر الخاصة بالوطن وتحدياته التي بينها ترتبط بالطبيعة وحولاتها البيئية والإنسانية.
 - لقد جاءت صورة الطبيعة كاشفة عن العلاقة الإنسانية بها كما توضح تعلق الشاعر بها بما يعبر عن نزعتة الرومانسية.
 - توصي الدراسة بإقامة دراسة تتناول العلاقة بين الطبيعة والذات في شعر أبو ماضي. وكذلك تناول الخصائص الفنية لشعر إيليا أبو ماضي.

الهوامش

- (1) انظر: نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1945م، ص9.
- (2) الناعوري، عيسى، أدب المهجر، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1959م، ص98.
- (3) المرجع السابق، ص375.
- (4) انظر: الحوفي، أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1963م، وانظر: السيد، محمود، المرأة في وجدان الشاعر العربي، دار المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1995م.
- (5) انظر: بكار، يوسف، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1971م، ص13-20.
- (6) الغول، عطية، المرأة في العصور العباسية، دار الجنان للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص3.
- (7) أبو ماضي، إيليا، الأعمال الشعرية الكاملة (جمع وتقديم د. عبد الكريم الأشترا)، مؤسسة عبد العزيز بابطين، الكويت، ط1، 2008م، ص934.
- (8) الشابي، أبو القاسم، الخيال الشعري عند العرب، كلمات عربية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص69.
- (9) أبو ماضي، إيليا، الأعمال الشعرية الكاملة، ص153.

- (10) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 154
- (11) الجوزن: ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان.
- (12) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 155.
- (13) خود: الشابة الحسناء.
- (14) ترائبها: موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).
- (15) زججت المرأة حواجبها: دققتها وطولتها.
- (16) دعص: الرمل.
- (17) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 159.
- (18) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 169.
- (19) رنمًا: الظبي الخالص البياض.
- (20) السمهوري: الرمح.
- (21) الهاشمي، علي. المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1960م، ص88.
- (22) عودة نعيم، أدب المرأة العربية: الشعر والنثر والحوار، دار غيداء للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص48.
- (23) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 83.
- (24) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 83.
- (25) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 83.
- (26) انظر: العقاد، عباس، ساعات بين الكتب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1978م، ص127.
- (27) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 327.
- (28) الزعبي، أحمد، المعجم الفلسفي المدرسي الميسر، دار الآثار، حلب، سوريا، ط1، 1996م، ص270.
- (29) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 328.
- (30) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 455.
- (31) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 455.
- (32) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 455.
- (33) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 456.
- (34) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 463-464.
- (35) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 464.
- (36) انظر: مداس، فاروق، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2003، ص295.

(37) أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة، ص 771.

المصادر والمراجع

- بكار، يوسف. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري. دار المعارف للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط1. 1971م.
- الخوفي، أحمد. المرأة في الشعر الجاهلي. دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط3. 1963م.
- الزعيبي، أحمد. المعجم الفلسفي المدرسي الميسر. دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع. حلب. سوريا. ط1. 1996م.
- السيد، محمود. المرأة في وجدان الشاعر العربي. دار المعارف للنشر والتوزيع. الإسكندرية. مصر. ط1. 1995م.
- الشبابي، أبو القاسم. الخيال الشعري عند العرب. كلمات عربية للطباعة والنشر. القاهرة. مصر. ط2. دت.
- العقاد، عباس. ساعات بين الكتب. دار الفكر العربي. القاهرة. مصر. ط1. 1978م.
- عودة نعيم. أدب المرأة العربية: الشعر والنثر والحوار. دار غيداء للنشر والتوزيع والطباعة. عمان. الأردن. ط1. 2015م.
- الغول، عطية. المرأة في العصور العباسية. دار الجنان للنشر والتوزيع والطباعة. عمان. الأردن. ط1. 2015م.
- أبو ماضي، إيليا. الأعمال الشعرية الكاملة (جمع وتقديم د. عبد الكريم الأشتري). مؤسسة عبد العزيز بابطين. الكويت. ط1. 2008م.
- مداس، فاروق. قاموس مصطلحات علم الاجتماع. دار مدني للطباعة والنشر. الجزائر. ط1. 2003م.
- الناعوري، عيسى. أدب المهجر. دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط1. 1959م.
- نوفل، سيد. شعر الطبيعة في الأدب العربي. مطبعة مصر للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط1. 1945م.
- الهاشمي، علي. المرأة في الشعر الجاهلي. دار الفكر للطباعة والنشر. القاهرة. مصر. ط1. 1960م.